



מכתוב | ספרות ערבית בעברית  
מכתוב | אִדב ערבי بالعبرية

מכתוב - מננדו המתרגמים מן הערבית אלל העברית  
בالتعاون مع:  
دراسات - المركز العربي للقوق والسياسات  
سيكوي - الجمعية لدعم المساواة المدنية

## معرفة اللغة العربية بين اليهود في إسرائيل تقرير

يهودا شنهاف، ميسلون دلاشة، رامي أبنيملخ، نيسيم مزراحي، يوناتان مندل

## ملخص

يعرض التقرير الحالي نتائج أولية لبحث يفحص بواسطة عيّنة تمثيلية (N=500) معرفة اللغة العربية بين السكان اليهود في إسرائيل ونظرتهم إليها. ويتضح أن نحو 10% من اليهود في إسرائيل يعتقدون أنهم يتحدثون أو يفهمون اللغة العربية بصورة جيدة. تتخفف هذه النسبة كثيرًا عند السؤال عن قراءة النصوص وفهمها، ولا تتعدى نسبة الذين يعتقدون أن بمقدورهم قراءة كتاب أو صحيفة باللغة العربية الـ 1%.

بعد توسيع العيّنة وإضافة 261 مستطلعًا "شرفيًا" (N=761)، أجرينا مقارنة بين فئة المستطلعين الذين جاؤوا بأنفسهم أو جاء أحد والديهم أو أجدادهم إلى البلاد من بلدان عربية وبين الآخرين. وقد توصلنا إلى نتيجة مفادها أن الشرفيين يتقنون اللغة العربية بصورة أكبر نسبيًا في جميع المستويات، وأن هنالك اختلافات كبيرة وواضحة بين الشرفيين أبناء الأجيال المختلفة في هذا الباب. إن الهرم المقلوب الذي يرسمه أمامنا هذا الاستطلاع بشأن خسارة هذه الفئة السكانية للغة العربية بالغ الوضوح: تصل نسبة إتقان اللغة العربية (كلامًا أو فهمًا أو قراءة) ضمن شريحة أبناء الجيل الأول من اليهود العرب إلى 25.6%، وهي أكبر بمرتين من نسبتهم في الجيل الثاني وأكبر بنحو عشرين مرة من نسبتهم في الجيل الثالث (1.3%). ولكن وبالرغم من ذلك فلا تزال نسبة اليهود القادمين من بلدان عربية من أبناء الجيل الأول الذين يستطيعون قراءة النصوص بالعربية ضئيلة جدًا (2.4%)، وذلك لأنهم هاجروا إلى البلاد وهم في جيل صغير غالبًا.

وتوضح نتائج البحث، أيضًا، أن نسبة اليهود من أصول أوروبية (الإشكناز) الذين تعلموا اللغة العربية في الجامعات أكبر بأربع مرات من النسبة بين اليهود ذوي الأصول العربية؛ وأن نسبة اليهود من أصول أوروبية الذين تعلموا اللغة العربية في إطار الخدمة العسكرية في الجيش أكبر بثلاث مرات من النسبة بين اليهود ذوي الأصول العربية. لهذه النتيجة أهمية خاصة سنتوقف عندها في متن التقرير.

أما بخصوص النظرة إلى اللغة العربية، فيتضح أن جزءًا كبيرًا من المستطلعين (57.8%) يعتقدون أن اللغة العربية هامة، وتعتقد غالبية هؤلاء أن سبب هذه الأهمية يكمن في الاعتبارات الأمنية (65.4%). بالمقابل، فإن نسبة اليهود الذين يعتقدون أن أهمية اللغة العربية كامنة في كونها لغة موروث ثقافي هي نسبة قليلة تصل إلى نصف نسبة أولئك الذين يعززون هذه الأهمية إلى الاعتبارات الأمنية (33%). إضافة إلى ذلك، يتضح من الاستطلاع بصورة عامة وفي أغلب مستويات الفحص أن اليهود ذوي الأصول العربية ينظرون بصورة أقل إيجابية إلى اللغة العربية. على سبيل المثال، يعتقد 49% فقط من بين اليهود ذوي الأصول العربية أنه يتعين أن تكون اللغة العربية لغة رسمية في الدولة، مقابل نحو 58% من بين اليهود الذين لا ينحدرون من بلدان عربية. كذلك الأمر بخصوص نسبة أولئك الذين يعتقدون أن أهمية اللغة العربية نابعة من عقيدة "اعرف عدوك" - إذ إن الأغلبية (74.2%) من اليهود ذوي الأصول العربية يحملون هذه العقيدة، مقابل نسبة أقل بين اليهود الذين لا ينحدرون من بلدان عربية (نحو 60%). ولدى تحليل البيانات بحسب الفئات العمرية، يتضح أن أبناء الجيل الأول من بين اليهود ذوي الأصول العربية ينظرون إلى اللغة العربية بإيجابية أكبر من أبناء الجيل الثاني والثالث الذين "يبتعدون" عن اللغة العربية، وهو الأمر الذي تجلّى في نظرتهم الأقل إيجابية إليها.

## توطئة<sup>1</sup>

تتسم علاقة اليهود في إسرائيل باللغة العربية بالازدواجية. فهناك من يدعي أن اللغة العربية ضرورية "لفهم الآخر"، للاندماج في الحيز أو التصالح مع العالم العربي من حولنا. بينما يؤكد آخرون على ضرورة معرفة اللغة العربية من منطلق "الاحتياجات الأمنية" و"اعرف عدوك". في الواقع، تفترض المسلمات الإسرائيلية أنه يجب تدريس العربية لسببين: لأغراض أمنية وبغية تشجيع التعايش اليهودي-العربي. ورغم التناقض ما بين هذه المسوغات إلا إنها تقدّم كمبرر لتدريس اللغة العربية في المدارس.

على ضوء ذلك، كان من الممكن أن نفترض أن شريحة واسعة من اليهود في إسرائيل تتقن اللغة العربية، أو على الأقل تؤيد اكتسابها وترغب في معرفتها، إن كان لتوظيفها أمنياً أو بسبب موقفها تجاه المصالحة أو كلاهما معاً. وفعلاً، فعلى الأقل على مستوى التصريحات، هناك "تأييد" واسع لتدريس الموضوع. حيث أظهر استطلاع لمعهد "داحف" أجري عام 1994 مباشرة بعد التوقيع على اتفاقيات أوسلو، أن غالبية السكان اليهود في إسرائيل-حوالي 65% من البالغين- يؤيدون تدريس العربية كموضوع إلزامي في المدارس، أيضاً لأنها لغة رسمية في إسرائيل. يجب أن نضيف إلى ذلك شريحة اليهود ذوي الأصول العربية (اليهود الشرقيين أو اليهود العرب) التي كانت العربية وما زالت لغتهم الأم، وكذلك الدوافع والسياقات الأمنية التي تربط ما بين تدريس العربية في إسرائيل وبين الاعتبارات المتعلقة بالأمن القومي. مع ذلك، وخلافاً للتوقعات، وعلى الرغم من الجوانب المختلفة التي ذكرت هنا، فإن اليهود، في الممارسة اليومية وعند الامتحان الحقيقي، لا يتهافون لتعلم العربية أما جهاز التربية والتعليم فلا يلزم الطلاب بدراستها.

الأسباب من وراء هذا الوضع العبثي الذي تدرس فيه لغة رسمية في المدارس كـ"لغة أجنبية ثانية" هي كثيرة ومتنوعة. يتأثر حقل معرفة اللغة العربية وسط اليهود في إسرائيل بعدد من القوى المتناقضة التي تولد نتائج عكسية. من جهة، فإن السيادة اليهودية منذ 1948 لم ترسخ بواسطة السيطرة على الأرض فحسب، وإنما عن طريق تعزيز اللغة العبرية وإضعاف العربية في الحيز العام أيضاً. أما من جهة أخرى، فقد اعتبرت معرفة العربية شرطاً مسبقاً لفهم المنطقة التي تتواجد فيها هذه السيادة من النواحي السياسية والأمنية والثقافية.

يونتان مندل الذي بحث في [تشكل دراسات العربية في البلاد](#) والصورة التي لبسها حقل دراسات العربية وسط المجتمع اليهودي، قام بتحديد ميزات "العربية الإسرائيلية" التي تشكلت في البلاد- على مستوى الخطاب، وعلاقات القوى، والأعراف المتبعة في حقل دراسات اللغة، وقيمة اللغة نفسها وحدود قدراتها. وقد أظهر عملياً كيف تشكلت في إسرائيل لغة عربية مصطنعة، خاملة ومحدودة تدور في فلك الاحتياجات الاستخباراتية والأمنية، لا سيما وأن جهاز الاستخبارات قد أصبح شريكاً طبيعياً في تعزيزها في حين تم إقصاء متحدثي العربية عن تدريسها على مدى السنوات، حتى أصبحت هذه بعيدة كل البعد عن اللغات العربية الدارجة في المنطقة.<sup>2</sup>

لا بد من التذكير هنا أن غالبية سكان البلاد قبل 1948، وخاصة في الفترة التي سبقت الانتداب البريطاني للبلاد، تحدثوا بالعربية، إن كان كلغة أم أو كلغة ثانية. صحيح أن بعضهم اتقنوها بمستوى أساسي فقط، ولكن كان هناك من أتقنوا الفصحى كذلك. وتحدث سكان البلاد العربية بعدة لهجات، وربطتهم لغتهم هذه بلغات المنطقة، وعلى المستوى الأوسع، بثقافتها وأناسها. أما بعد 1948، فقد تم محو العربية في إسرائيل بالترتيب حتى تحولت من لغة تواصل مشترك للغة مطلوبة أساساً من قبل الحكم العسكري، والجهاز الأمني ومؤسسات الدعاية والإعلام الإسرائيلية الناطقة بالعربية. وعليه، وبشكل متناقض، أصبحت مؤسسات الفصل، وعلى وجه الخصوص أجهزة الأمن والجيش، هي القوة التي تدفع باتجاه مواصلة تدريس العربية وزيادة عدد الطلاب الذين يدرسون اللغة بمستوى عال. هكذا أيد الجيش، على سبيل المثال، الحركات التي قادها معلمو العربية في الماضي من أجل تحويل العربية للغة إلزامية من منطلق تشجيع دراستها، وأكدوا أنهم لا ينظرون إليها "كهدف استخباراتي فحسب" وإنما كلغة الثقافة السائدة من حولنا أيضاً.

بينما أضحت العربية لغة العدو وسط الجمهور العام ومتخذي القرارات في إسرائيل، كانت الأسباب الأمنية هي الأولى لتبرير تدريس العربية في المدارس اليهودية، و فقط من بعدها جاءت الدوافع الثقافية والمدنية ولو أنها كانت قليلة. ميّز هذا الوضع تاريخ دراسة العربية في البلاد منذ بداياتها وحتى الأونة الأخيرة، ونحن نعتقد أنه يشكل أحد الأسباب من وراء مكانتها السلبية وسط المجتمع اليهودي في إسرائيل. وقد وثقت الأبحاث التي أجريت على مدى

<sup>1</sup> أجري البحث عام ٢٠١٥ بالتعاون ما بين معهد فان لير في القدس وجامعة تل أبيب، وذلك ضمن مشروع أوسع يعني بمكانة اللغة العربية في الحيز العام عامة والأكاديمي خاصة تم بالشراكة مع دراسات- المركز العربي للحقوق والسياسات وسيكوي- الجمعية لدعم المساواة المدنية. بعض الهوامش حذفتم بالترجمة العربية. للاطلاع على كافة الهوامش يرجى مطالعة التقرير بالعبرية، [هنا](#).

<sup>2</sup> Yonatan Mendel (2014). *The Creation of Israeli Arabic: Security and Political Considerations in the Making of Arabic Language Studies in Jewish Schools* (London: Palgrave Macmillan).

سنوات طويلة المواقف السلبية وسط الطلاب في جهاز التربية والتعليم تجاه اللغة العربية وإمكانيات دراستها. إلى ذلك فإن نسبة الطلاب الذين يدرسون خمس وحدات لغة عربية في الوسط اليهودي تتراوح بين الـ 2 و 3 بالمئة فقط من مجمل الطلاب الذين يجتازون امتحانات البجروت. 5% فقط من مجمل الطلاب اليهود يتقدمون لبجروت اللغة العربية كموضوع اختياري وذلك بمعدل 4.7 وحدات. وعلى الرغم من أن نسبة الطلاب الشرقيين أعلى عامةً إلا أن معدل علاماتهم أدنى من معدل الطلاب الإسكناز. ويترتب على هذه النظرة الضيقة والمرتبطة بالأمن وجود إنتاج لغوي هزيل ومحصور ينبع من النظرة والخطاب الاستخباري ويشجعها، ويستخدم في نفس الوقت كأداة للتفرقة الإثنية. إحدى الظواهر المدهشة التي يتم وصفها في دراسة مندل هي الطريقة التي "صودرت" فيها اللغة العربية في إسرائيل من العرب وأنشأت كلغة لا يلعب فيها العرب دوراً. فنسبة العرب وسط معلمي اللغة العربية أو بين معدي كتب التعليم أو أعضاء لجان اللغة المختلفة منخفضة جداً وقد تصل إلى الصفر.

انضم إلى هذه الظاهرة على مدى السنوات تغيير إثني آخر. فمن المثير أن اللغة العربية، كما يتضح، تدرّس بالأساس بما يسمى "البلدات المتمكنة" حيث أقيمت بالمدارس تخصصات بالدراسات الشرقية. هذا السبب، بالإضافة إلى ابتعاد اليهود العرب عن اللغة العربية،<sup>3</sup> وسياقاتها الاستخبارية كذلك، جعلت اللغة العربية بشكل تدريجي موضوعاً "إسكنازياً". ترتبط هذه الظاهرة بالتغييرات والمد والجزر الذي طرأ على مكانة اللغة العربية خلال عمر الدولة. فمثلاً، بعد دراسة إخفاقات حرب أكتوبر 1973، تناول تقرير أغرنات مسألة اللغة العربية في الأجهزة الاستخبارية وأدى إلى تغييرات بنبوية، من بينها إنشاء تخصصات للدراسات الشرقية في البلدات "المتكئة"، الأمر الذي غير بدوره الهوية الإثنية لليهود الذين يتقنون اللغة العربية لا سيما مع الاختفاء التدريجي لأبناء وبنات الجيل الأول من اليهود العرب. وكان من المثير أن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية عيّرت في سنوات السبعينات عن قلقها من حقيقة وصول اليهود العرب إلى سن التقاعد وعدم وجود "متحدثين طبيعيين" يتقنون اللغة ويستطيعون تأدية خدمتهم في أجهزة الدولة المختلفة. كذلك ساهمت الجهود التي كثفت في حينه لتشجيع دراسة اللغة العربية على المستوى القطري لأغراض أمنية بالدرجة الأولى هي الأخرى في إحداث هذا التغيير في التركيبة الإثنية.<sup>4</sup>

على الرغم من أهمية هذه المسألة ومركزيتها في الخطاب الإسرائيلي، لا توجد بين أيدينا حتى اليوم بيانات دقيقة حول حجم إجادة اللغة العربية، على أبعادها المختلفة، وسط اليهود في إسرائيل. أجريت في الماضي بعض التقديرات الأولية (مثل تلك التي أجرتها دائرة الإحصاء المركزية عام 2011) ولكن هذه لم توفر تفصيلاً كافياً حول امتلاك المهارات اللغوية المختلفة (القراءة، والفهم، والكتابة، والمحادثة)، ولا حول الخلفية الاجتماعية والأصول الإثنية والفئات العمرية للمشاركين. حتى اليوم، لم يجر أي بحث مفصّل يقوم بفحص الظاهرة بشكل شامل. وعلى الرغم من أهميته إلا أن الاستطلاع الاجتماعي الذي أجرته دائرة الإحصاء المركزية عام 2011 حول اللغة الثانية لا يوفر قاعدة بيانات كافية للإجابة عن الأسئلة التي ذكرت هنا، وخاصة الإمام باللغة والمهارات اللغوية والفروق السوسولوجية بين المجموعات. كما أنه لا يسمح بمعرفة التوزيع الإثني للمشاركين، فنظراً لعدم توفر بيانات حول الجيل الثالث، يشمل الاستطلاع مجموعة كبيرة من الشرقيين الذين لا يتم تعريفهم كشرقيين لأن والديهم ولدوا في البلاد. لا يسمح الاستطلاع أيضاً بمعرفة التوزيع العمري مع العلم أن لهذا المتغير علاقة متبادلة قوية مع الإمام باللغة العربية والعلاقة مع اللغة. ونهاية، لا يوفر استطلاع دائرة الإحصاء بيانات حول طرق دراسة اللغة ولا حول دور المؤسسات الأمنية في تشجيع دراستها ومراعاة التجربة في استخدامها. يحاول التقرير الحالي إكمال النواقص وتلخيص استطلاع مفصّل أجري وسط السكان اليهود في إسرائيل ليفحص مدى إلمامهم باللغة، مصادر تعليمها، استخداماتها والمواقف تجاهها.

يهدف الاستطلاع إلى فحص مستوى إلمام واستخدام اليهود في إسرائيل للعربية (وخاصة اللهجات العربية المختلفة) والفروقات الإثنية بين المجموعات في هذا السياق. وتهمنا بشكل خاص المهارات اللغوية ومصادر اكتسابها والفروقات بين القادمين من الدول العربية وذرياتهم من الجيل الثاني والثالث في إسرائيل وبين كل البقية. يرجى الانتباه أنه على الرغم من استخدامنا هنا التصنيفات السوسولوجية الدارجة للـ "إسكناز" و "الشرقيين" إلا أن هذه لا تتطابق مع تلك المتبعة في البحث السوسولوجي والتي عادةً ما تشمل في فئة الشرقيين القادمين من تركيا، وإيران، والهند وما إلى ذلك. في هذه الحالة ركزنا على من ينحدرون من الدول الناطقة بالعربية فقط.

<sup>3</sup> للتوسع حول الظاهرتين، انظروا:

يهودا شنهاف (٢٠١٦). اليهود العرب: قراءة ما بعد كولونيالية في القومية والديانة والإثنية. مدار - المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.

Reuven Snir, *Who Needs Arab-Jewish Identity?: Interpellation, Exclusion and Inessential Solidarities* (Leiden: Brill, 2015), 140; Yehouda Shenhav, *The Arab Jews: A Postcolonial Reading of Nationalism, Religion and Ethnicity* (Stanford: Stanford University Press, 2006), p.3

<sup>4</sup> انظروا حول هذا الموضوع الفصل المعنون "اختفاء اليهود العرب" في كتاب يوني مندل.

## النتائج

إن عبارة "اجادة اللغة العربية" ليست واضحة بما فيه الكفاية ولا بد لنا من تناول هذه المسألة هنا. إذ تشمل هذه العبارة كم من الإمكانيات لا سيما وأن اللغة العربية مركبة من عدد كبير من اللهجات المستخدمة في المناطق المختلفة وعدة مستويات من العامية. قد تستند معرفة اللغة العربية إلى اللغة الفصحى و/أو إلى المحكية وإلى اللهجات المتنوعة القائمة. فبالإضافة إلى العربية الفلسطينية- وهي الأخرى تختلف من النقب إلى الجليل وبين القروية والمدنية- كذلك اللغة العربية التي استخدمها اليهود الذين قدموا إلى إسرائيل من الدول العربية تختلف من مجموعة إلى أخرى، وهي غير مطابقة للغة العربية الفلسطينية كما هو معروف.

على هذه الخلفية، يصبح سؤال معرفة اللغة العربية متعدّد الأبعاد، أيضاً من ناحية "عن أية لغة عربية نتحدث؟"، وأيضاً من ناحية "ماذا تشمل معرفة اللغة؟". لهذا، قد يكون هذا السؤال مضللاً ومن الممكن أن يمس بصدقية الجواب. بكلمات أخرى، ليس من الواضح دائماً أية لغة عربية يقصد المستطلعون في إجاباتهم، وكثير من هؤلاء الذين أجابوا وادعوا أنهم يتقنون اللغة العربية جيداً قصدوا أنهم يفهمون اللغة العربية المحكية لكنهم لا يتقنون القراءة والكتابة البتة. في المقابل، وعلى العكس من هذه الحالة اللغوية، كثيرون من باحثي الشرق الأوسط في الحيز الأكاديمي الإسرائيلي، وكذلك الكثير من معلمي اللغة العربية في المدارس، يقرؤون اللغة العربية الفصحى ولكنهم عادةً ما يكونوا غير قادرين على التحدث بالعربية، لا بالفصحى ولا بالمحكية.

يؤكد الكثير من الباحثين في حقل دراسات اللغة العربية في إسرائيل على العلاقة بين الأبعاد الفيلولوجية، التي تعتمد عليها دراسات اللغة العربية في البلاد، والفصل القومي الذي تطور بين اليهود والعرب في إسرائيل، واللغة العربية التي تشكلت في نهاية المطاف في المجتمع اليهودي. ويدعي هؤلاء الباحثون أن اللغة العربية مرت بعملية لتنته (من لاتيني) سلبية، أي أنها أضحت لغة "ميتة"، لغة بدون متحدثين، لغة يجب تفكيكها وتشفيرها ولكن ليس التحدث أو الإنتاج بها.<sup>5</sup> كل هذه المتغيرات والظواهر تتواجد بعلاقة طردية مع عبارة "اجادة اللغة العربية" المبهمة وقد تتمخض بالنتيجة عن تباين داخلي كبير.

عرض استطلاع دائرة الإحصاء المركزية (الذي سنتطرق إليه فيما بعد) السؤال بشكل عام جداً، دون التدقيق في أبعاد اللغة الداخلية، كما تظهر في الجدول 1 الذي يستعرض النتائج حسب الأبعاد المختلفة لإجادة اللغة العربية. بالمجمل، يدعي نحو عشرة بالمئة من اليهود في إسرائيل أن لديهم معرفة جيدة باللغة العربية، ويدعي 17% أنهم يفهمون اللغة أو قادرون على إجراء محادثة بها. نحن نفترض أن تقدير المهارات هنا زائد عن حده، وأن نسبة كبيرة من الناس تتفاخر بمعرفة اللغة حتى لو لم تتقنها- بالأساس لتحقيق الإرضاء على المستوى الاجتماعي. نحن نفترض أن نسبة الخطأ (التقدير الزائد) أكبر وسط اليهود العرب الذين من المحتمل أنهم يميلون إلى التصريح بأنهم يعرفون اللغة العربية حتى عندما تكون هذه المعرفة سطحية. عندما سألنا في الاستطلاع بشكل محدد عن معرفة الأحرف العربية، انخفضت هذه النسبة بشكل كبير إلى حوالي 2.6% (يجب التذكير بأن الحديث ليس عن نفس المستطلعين). عندما تعمقنا وسألنا عن إجادة الكتابة بالعربية، انخفضت نسبة اليهود الذين ردوا بالإيجاب أكثر إلى 1.4%. أما نسبة اليهود الذين يدعون أنهم قادرون على قراءة كتاب بالعربية، من ضمن العينة النموذجية لكافة السكان، فلا تتعدى الـ 1% (ومن المحتمل أن تكون هذه النسبة الضئيلة هي الأخرى نتيجة تقدير زائد عن حده). لا شك إذاً أن غالبية اليهود الذي ادعوا أنهم "يجيدون" اللغة العربية، بصورة أو بأخرى، يعرفون بالأساس اللغة المحكية وبإمكانهم أن يسمعون أو يفهموا اللغة العربية بشكل غير فعال، ولكنهم غير قادرين على استخدام اللغة بشكل فعال: أي الكتابة أو التحدث بالعربية إن كان بالفصحى أو بالمحكية. من شأن الفجوة بين الأجوبة المتعلقة بالتحدث وبين الأجوبة المتعلقة بالقراءة والكتابة أن تشير هي الأخرى إلى تقدير زائد عن حده للمعرفة في السؤال الأول.

<sup>5</sup> أظهر أولمان كيف ينظر التوجه التعليمي في المدارس إلى اللغة العربية كلغة جامدة، وكان الحديث عن اللاتينية القديمة التي يجب تفسيرها أو ترجمتها، بشكل مخالف تماماً للطريقة التي تدرس فيها الإنجليزية أو الفرنسية مثلاً في جهاز التربية والتعليم. يشير فراغمان بدوره إلى أنه، على الرغم من التغيرات التي طرأت على بعض كتب التعليم، إلا أن الكثيرين ما زالوا يدرسون اللغة العربية بناء على الطريقة القديمة "ترجمة وقواعد" والمعتمدة أيضاً في الجامعات للتوسع:

Allon Uhlmann, "Policy Implications of Arabic Instruction in Israeli Jewish Schools", *Human Organization* 70 (1) (2011): 100;

ألون فراغمان، "الطالب المثابر أتى الأسبوع الماضي إلى المدرسة فرحاً مسروراً - طريقة الترجمة-القواعد في تدريس اللغة العربية - 2005 - 2006"، الرسالة 14 (2007)، ص 31-46. ٣١.

الجدول ١: الإلمام باللغة العربية (المستطلعين الذين صنّفوا مستوى اطلاعهم ومعرفتهم باللغة العربية كمرتفع أو مرتفع جدًا حسب المواضيع المفصلة في القائمة)

نوع المعرفة	العينة التمثيلية N=500	الشرقيين <sup>٥</sup> N=500	البقية N=261
مدى فهم ما يقال عندما يتحدثون معهم أو إلى جانبهم	17.2%	30%	3.1%
مدى فهم كلمات الأغاني	10.4%	18.8%	0.8%
التكلم وإجراء محادثة	10%	17%	1.1%
تصنيف عام لمستوى معرفة اللغة العربية	9.8%	15.8%	1.1%
معرفة الأحرف	6.8%	7.6%	3.1%
القراءة (جريدة، أخبار)	2.6%	3.8%	0.4%
الكتابة (إيميل، رسالة)	1.4%	2.6%	0.4%
قراءة الأدب (رواية أو كتاب)	1%	2.2%	--

مقارنة أجوبة المستطلعين الذين قدموا هم أو احد والديهم أو أجدادهم من الدول العربية ببقية المستطلعين اليهود تظهر بوضوح أن ذوي الأصول العربية يتقنون اللغة العربية أكثر في كافة المجالات، وأن الفروق تتأثر بالفئات العمرية. معطى عام آخر مثير في الجدول 1 يبين أنه فيما صنف 9.8% مستوى معرفتهم العامة باللغة العربية كمرتفع أو مرتفع جدًا، ازدادت هذه النسبة بشكل ملحوظ عندما سأل المستطلعين إن كانوا يفهمون ما يقال إلى جانبهم أو عندما يتحدثون إليهم: 17.2% اعطوا علامة مرتفعة حتى مرتفعة جدًا. أما في بقية المواضيع فقد رأينا انخفاض ملحوظ بنسبة من يتقنون اللغة العربية كلما تطلب مجال المعرفة "التزام محدد أكثر" مثل الكتابة أو قراءة الكتب. عندما نفحص توزع الأجوبة حسب الأصول، نرى أن 15% من ذوي الأصول العربية يصنفون مستوى معرفتهم العامة باللغة العربية كمرتفع حتى مرتفع جدًا. ولكن إذا قمنا بتحليل الأجوبة حسب الفئات العمرية (كما يظهر في جدول 1(2)) يتضح أن الحديث غالبًا عن الجيل الأول (25.6%) والثاني (14%)، مقابل انخفاض حاد وسط أبناء الجيل الثالث الذين صنف 1.3% منهم فقط مستوى معرفتهم العامة باللغة العربية كمرتفع أو مرتفع جدًا. تشير هذه النتائج بدورها إلى تراجع اللغة العربية مع الوقت في وسط اليهود ذوي الأصول العربية. مما لا شك فيه أن اليهود الإثكناز في إسرائيل فقدوا هم كذلك لغات الأجداد والجداات- لا سيما الألمانية، اليديشية أو البولندية- ولكن يجب الفصل بين فقدان هذه اللغات وبين فقدان اللغة العربية بين اليهود، لأن اللغة العربية لغة رسمية في دولة إسرائيل منذ إقامتها (إلى جانب العبرية)، لغة رسمية للبلاد في الفترة التي سبقت إقامة الدولة (خلال الانتداب البريطاني، إلى جانب الإنجليزية والعبرية)، لغة التواصل المشترك في المنطقة التي تتواجد فيها إسرائيل، ولغة الأم والثقافة والهوية للعرب مواطني إسرائيل (السكان الأصليون) الذين يعيشون في البلاد منذ أجيال. لهذا، يجب تمييز خسارة اللغة العربية عن غيرها من اللغات لأنه تم على الرغم من أهمية اللغة، على الرغم من ديناميكيته وعلى الرغم من مكانتها الرسمية في إسرائيل. يدور الحديث عن حالة فقدان خاصة لأنها طرأت على الرغم من الميزات التي كان من المتوقع أن "تحمي" اللغة العربية أو تشجع الحفاظ عليها كلغة حياة، واندماج، وثقافة ومجتمع.

الجدول ١ (٢): الإلمام باللغة العربية بين الشرقيين فقط حسب الجيل (المستطلعين الذين صنّفوا مستوى اطلاعهم ومعرفتهم باللغة العربية كمرتفع أو مرتفع جدًا حسب المواضيع المفصلة في القائمة)

نوع المعرفة	الجيل الأول من الشرقيين N=164	الجيل الثاني من الشرقيين N=258	الجيل الثالث من الشرقيين N=78
-------------	----------------------------------	-----------------------------------	----------------------------------

9.0%	29.8%	40.2%	مدى فهم ما يقال عندما يتحدثون معهم أو إلى جانبهم
6.4%	15.1%	30.5%	مدى فهم كلمات الأغاني
3.8%	16.7%	23.8%	التكلم وإجراء محادثة
1.3%	14.0%	25.6%	تصنيف عام لمستوى معرفة اللغة العربية
7.7%	6.2%	9.8%	معرفة الأحرف
3.8%	3.1%	4.9%	القراءة (جريدة، أخبار)
1.3%	2.3%	3.7%	الكتابة (يميل، رسالة)
1.3%	2.3%	2.4%	قراءة الأدب (رواية أو كتاب)

يظهر الجدول ٢ أين تعلم المستطلعين اللغة العربية. لا شك أن المدارس هي أهم عنصر في تعليم اللغة العربية من ناحية اليهود في إسرائيل. ولكن إذا ما قارنا بين ذوي الأصول العربية وغيرهم، سنجد أن المدرسة تشكّل مكان تعليم أهم وسط الإشكناز أكثر من الشرقيين، وتصل النسبة في هذا السياق ٨٢.٩٪ وسط الإشكناز قياساً نحو ٦٧.٧٪ وسط الشرقيين. وقد حصلنا على نسب شبيهة عندما فحصنا تعلم اللغة من خلال الانكشاف أو عدم الانكشاف عليها في البيت. وقد وجدنا في تحليل إضافي (لا يعرض هنا) أن النسبة هي ٦٥.٥٪ وسط هؤلاء الذين انكشفوا على اللغة العربية في البيت وتعلموا اللغة العربية في المدرسة مقابل ٨٥.٦٪ وسط هؤلاء الذين لم ينكشفوا على اللغة العربية في البيت وتعلموها في المدرسة. أي أن الطلاب الشرقيين الذين انكشفوا على اللغة العربية في جيل مبكر، وكانت لديهم احتمالات أكبر من ناحية لغوية (لفظ، فهم والخ) لتعلم واستيعاب اللغة، تعلموا اللغة العربية بنسب أقل مقارنة بالطلاب الإشكناز الذين لم يكن لديهم قبل وصولهم إلى المدرسة أي لقاء أو علاقة باللغة (وفي السياق الإسرائيلي المتناقض، كذلك كانت لديهم حساسيات أقل تجاهها).

لا بد من الإشارة هنا إلى أن اللغة العربية تعرّف في المدارس اليهودية كمادة إلزامية ولكنه تعريف فضفاض. فاللغة العربية تعرّف عملياً كلغة إلزامية في الصفوف ٧-١٠، ولكنها تدرس في الصف العاشر في ٣٪ من المدارس فقط. ومنذ عام ١٩٥٩، أصبحت هناك إمكانية للاختيار بين تعلم اللغة العربية أو اللغة الفرنسية في المرحلة الإعدادية، والكثير من الطلاب يختارون الفرنسية. بالإضافة إلى ذلك، فإن اللغة العربية هي مادة اختيارية لا تتمتع بمنزلة عالية ولا تعود بمرود رمزي كبير، لذا فإن الكثير من الطلاب الذين بدأوا بتعلمها فضلوا الحصول على إعفاء من دراستها خلال فترة التعليم- وقد يكون هذا أكثر طلب إعفاء شائع في إسرائيل من بين مجمل المواد. على هذه الخلفية، يمكننا أن نقدر أن اليهود الشرقيين أبناء الجيل الثالث وحتى الثاني في إسرائيل "تتازلوا" عن تعلم اللغة العربية في المدرسة.

معطى مهم آخر يتعلق بنسبة اليهود الذين ذكروا أنهم تعلموا اللغة العربية في الجيش وهي ٤.٥٪. يجدر التوقّف عند هذا المعطى والإشارة إلى أن هناك احتمال كبير أن الحديث عن مستطلعين تعلموا اللغة العربية في الجيش ولم يتعلموها في المدرسة، بينما اختار هؤلاء الذين تعلموا اللغة العربية في المدرسة وكذلك في الجيش أن يذكروا السياق المدني (أي المدرسة) لدراسة اللغة العربية فقط. نحن نعتقد أن هذا التقدير هو أقل مما هو عليه في الواقع، بالأساس بسبب الحساسية التي قد يثيرها ذكر استخدام اللغة العربية خلال الخدمة العسكرية، الأمر الذي يرتبط بجهاز المخابرات العسكرية بشكل أوتوماتيكي تقريباً. ونظراً لسرية الوظائف في هذا الجهاز، بالإمكان الافتراض أن المستطلعين (حتى لو كانت هناك إمكانية لاختيار أكثر من إجابة) فضلوا ذكر المدرسة كمصدر معرفتهم باللغة العربية بفضل بعدها المدني ولأنهم غير معنيين بمناقشة مواضيع تتعلق باللغة العربية والمخابرات في استطلاع هاتفي. ويعتمد تقديرنا هذا على حقيقة كون الوحدة ٨٢٠٠، وحدة التجسس المركزية للمخابرات العسكرية، تعتبر أكبر وحدة في الجيش، وبالإمكان الافتراض أن تأثيرها على حقل دراسة اللغة العربية كبير. من المعقول كذلك أن المستطلعين نظروا إلى أنواع المعرفة التي تم اكتسابها في الجيش وفي المدرسة حول اللغة العربية بصورة مختلفة. أي أنهم اعتبروا المدرسة المكان المركزي والوحيد الذي تعلموا فيها اللغة العربية بالفعل- من ناحية تعلم الأحرف، الاعراب، المفردات- أما الأماكن الأخرى، مثل الجيش، فاعتبروها كأماكن استخدموا فيها اللغة العربية بشكل مهني بعد أن تعلموها في مكان آخر. نهاية، لا بد من الإشارة إلى أنه حتى هؤلاء الذين تعلموا اللغة العربية في المدرسة، وهم الغالبية العظمى من المستطلعين، قاموا بذلك في إطار مدني ولكن بدوافع عسكرية-أمنية. هذا بالضبط ما أظهره استطلاع هيم-يونس وملكا (بحث وزارة التربية والتعليم ومعهد سالد) الذي بيّن أن ٦٠٪ من

هؤلاء الذين يختارون دراسة اللغة العربية في المدرسة صرحوا بأن السبب الرئيس لاختيارهم الموضوع هو نيتهم "الانضمام إلى المخابرات".

## الجدول ٢: دراسة اللغة العربية في إسرائيل

دراسة اللغة العربية	العينة التمثيلية N=500	الشرقيين <sup>٧</sup> N=500	البقية N= 261
دراسة اللغة العربية بشكل رسمي أو غير رسمي	53.0%	55.8%	42.5%
أين تعلموا اللغة العربية (من مجمل الذين تعلموا فقط)			
في المدرسة	76.6%	67.7%	82.9%
في البيت	21.1%	32.6%	4.5%
في الجيش	4.5%	4.7%	6.3%
في الجامعة	3.4%	1.8%	6.3%
دورة/درس خصوصي	3.0%	1.8%	3.6%

ويظهر تحليل أجوبة ذوي الأصول العربية أن ٤٧.٦% من أبناء الجيل الأول تعلموا اللغة العربية في البيت، مقابل ٣% من أبناء الجيل الثاني، و ١١.٩% فقط من أبناء الجيل الثالث. في المقابل، ٧.١% من أبناء الجيل الثالث تعلموا اللغة العربية في الجيش مقابل، ٥.٩% من أبناء الجيل الثاني، و ١.٢% من أبناء الجيل الأول. مع ذلك، يجب أن نتذكر أن مستوى التعليم العالي وسط الإشكناز أكبر منه وسط الشرقيين. للتحكم بالفروقات النابعة عن ذلك، أخذنا الأكاديميين المشاركين في العينة والذين تعلموا اللغة العربية في الماضي فقط (N=109) وفحصنا أين اكتسبوا معرفتهم باللغة (الجدول ٢.١). بشكل غير مفاجئ، صرّح معظم المستطلعين (أكثر من ٨٠%) أنهم تعلموا اللغة العربية في المدرسة، وكانت النسبة وسط المستطلعين الذين لا ينحدرون من أصول عربية أكبر بفارق صغير. ٣١% من ذوي الأصول العربية صرحوا أنهم تعلموا بالتحدث بالعربية في البيت مقابل نسبة ضئيلة من المستطلعين الذين لا ينحدرون من دول ناطقة بالعربية. بيد أن المستطلعين قد صرحوا عن نسب منخفضة أكثر فيما يتعلق باستخدام اللغة العربية عملياً، كما اتضح أن ٤٠.٨% من أبناء الجيل الأول تحدثوا اللغة العربية في البيت، مقابل ١٣.٥% من أبناء الجيل الثاني، و ٢.٤% من أبناء الجيل الثالث.

وقد ظهرت فروقات غير مفهومة ضمناً وسط هؤلاء الذين تعلموا اللغة العربية في الجامعة وفي الجيش. فنسبة اليهود الذين تعلموا اللغة العربية في الجامعة أكبر بأربعة أضعاف وسط الإشكناز مقارنة بالشرقيين. وكذلك الأمر بخصوص نسبة المستطلعين اليهود الذين صرحوا أنهم تعلموا اللغة العربية في الجيش وهي أكبر بثلاثة أضعاف وسط الإشكناز مقارنة بالشرقيين. وقد حصلنا على هذه النسب بعد أن تحكنا بمستوى التعليم الأكاديمي وهو كما ذكرنا أكبر وسط الإشكناز منه لدى الشرقيين. كما تظهر القائمة، فإن نسبة الشرقيين في دراسة اللغة العربية في الجامعة أو الجيش أصغر بشكل كبير من نسبة الإشكناز.

## الجدول (1)2: مكان دراسة اللغة العربية في إسرائيل - من مجمل الحاصلين على تعليم أكاديمي أو أكاديمي جزئي ودرسوا اللغة العربية

دراسة اللغة العربية	الشرقيين <sup>٨</sup> N=42	البقية N= 67
---------------------	-------------------------------	-----------------



88.1%	83.3%	أين تعلموا اللغة العربية (من مجمل الذين تعلموا فقط)
1.5%	31.0%	في البيت
7.5%	2.4%	في الجيش
10.4%	2.4%	في الجامعة
4.5%	4.8%	دورة/درس خصوصي

يظهر الجدول ٣ مواقف اليهود الإسرائيليين تجاه اللغة العربية ومكانتها في الحيز العام، وتعكس البيانات الازدواجية السائدة تجاه اللغة. يعتقد نحو خمسون بالمئة أن اللغة العربية يجب أن تكون لغة رسمية، ونحو ستون بالمئة (٥٧.٨٪) يعتقدون أنها مهمة. ٥٨٪ يعتقدون أنها مهمة للاندماج في المنطقة، بيد أن هذه النسبة هي أكبر بشكل ملحوظ وسط هؤلاء الذين يعتقدون أنها مهمة من ناحية أمنية (٧٤.٢٪). في المقابل، تعتقد نسبة صغيرة فقط أن اللغة العربية مهمة كلغة ميراث يهودي (حوالي ٣٣٪)، ولا فرق هنا بين ذوي الأصول العربية وغيرهم. وتبين أن هذه المقولة تحظى بدعم أقل بالذات وسط الأكاديميين ذوي الأصول العربية (٢٧٪)، المعطى لا يظهر في القائمة).

بشكل عام، وجدنا وسط الأكاديميين الذين ينحدرون من أصول عربية دعم أقل، مقارنة ببقية المستطلعين ذوي الأصول العربية، تجاه المؤشرات المتعلقة بالصلة الثقافية، مثل الإعجاب بالموسيقى العربية - ١٢٪ في وسط الأكاديميين مقابل ١٩٪ في وسط البقية - والشعور بالراحة عند التحدث بالعربية - ٢٤٪ مقابل ٢٩.٤٪ على التوالي. وقد وجدت فروق واضحة بين المستطلعين ذوي الأصول العربية وبقية المستطلعين تجاه المقولة إنه يتوجب على كافة مواطني الدولة التحدث بالعبرية فقط (٣٩٪ وسط ذوي الأصول العربية و ٢٩٪ وسط البقية)، أهمية معرفة اللغة العربية من منطلق "اعرف عدوك" (٧٤٪ مقابل ٦٠٪)، الإعجاب بالموسيقى العربية (١٩٪ مقابل ٧٪) والشعور بالراحة عند سماع الموسيقى العربية (٢٨٪ مقابل ٢١٪). كما وجد فرق واضح كذلك فيما يتعلق بالشعور بالراحة عند التحدث بالعربية، ولكنه ينبع ربما من الفروق القائمة بنسبة القادرين على إجراء حديث باللغة العربية وسط ذوي الأصول العربية مقارنة بغيرهم. من الملفت أنه عندما يكون الحديث عن مقولات غير سياسية، مثل الموسيقى، يتضح أن هناك فرق كبير لصالح الشرقيين.

### الجدول 3: المواقف تجاه اللغة العربية

المقولة	العينة التمثيلية N=500	الشرقيين N=500	البقية N= 261
يجب أن تكون اللغة العربية لغة رسمية في دولة إسرائيل	52.6%	49.0%	57.9%
على كل مواطني دولة إسرائيل أن يتحدثوا العبرية فقط	36.4%	39.2%	28.7%
يجب تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية	60.2%	56.8%	61.3%
اللغة العربية مهمة جداً كلغة ميراث لليهود ذوي الأصول الشرقية ويجب أن تصان	33.0%	35.6%	32.6%

58.2%	58.6%	57.8%	اللغة العربية مهمة جداً للحياة في إسرائيل
37.2%	37.6%	38.8%	يجب أن تكون هناك تربية ثنائية اللغة بالعربية والعبرية من الصف الأول أيضاً للعرب وأيضاً لليهود
54.0%	58.4%	55.8%	اللغة العربية مهمة جداً من أجل اندماج إسرائيل في الشرق الأوسط
59.8%	74.2%	65.4%	معرفة اللغة العربية مهمة جداً من منطلق "اعرف عدوك"
7.7%	29.4%	18.2%	إلى أي مدى تشعر بالراحة للتحدث بالعربية خارج البيت؟
18.4%	14.8%	18.0%	إلى أي مدى تتضايق إذا تحدثوا إلى جانبك بالعربية؟
7.3%	19.0%	12.0%	إلى أي مدى تحب الاستماع للموسيقى بالعربية؟
21.1%	28.0%	25.0%	إلى أي مدى تشعر بالراحة عندما تسمع موسيقى بالعربية؟

يظهر التحليل الذي أجريناه بحسب الفئات العمرية، أن أبناء الجيل الأول من ذوي الأصول العربية يعتبرون عن مواقف إيجابية أكثر تجاه اللغة العربية في كافة المقولات، بينما يعبر أبناء الجيل الثاني والثالث عن مواقف أقل إيجابية تجاه كافة المقولات المفصلة في جدول ٣. وقد ظهر هذا الفرق أيضاً عند المقارنة بين المستطلعين الذين انكشفوا على اللغة العربية في البيت وهؤلاء الذين لم ينكشفوا عليها. إذ يوافق ٤٩٪ من هؤلاء الذين انكشفوا على اللغة العربية أنه يجب أن تكون لغة رسمية في إسرائيل، وهي نسبة أقل بكثير منها وسط هؤلاء الذين لم ينكشفوا على اللغة العربية (٥٧٪). وتتقلب العلاقة هنا أيضاً عند طرح أسئلة حول الاستماع للموسيقى أو الشعور بالراحة لسماع اللغة العربية، إذ يعبر ذوي الأصول العربية عن مواقف إيجابية أكثر في هذا السياق.

في تحليل إضافي، بقي السؤال "لماذا لا تشعر أن بإمكانك التحدث بالعربية براحة؟" الذي وجّه لمن صرّحوا أنهم يشعرون بالراحة بدرجة قليلة أو متوسطة عند التحدث بالعربية خارج البيت، بقي مفتوحاً وسمح بتقديم أسباب شتى. وعلق حوالي أربعين بالمئة السبب على عدم إلمامهم باللغة العربية أو إتقانهم لها (٣٩.٦٪). وأشار أبناء الجيل الثالث من ذوي الأصول العربية إلى عدم إلمامهم باللغة كعائق مركزي ومهم أكثر مقارنة بأبناء الجيل الأول والثاني. كما ذكرت عوائق إضافية مثل "لا يوجد مع من أتحدث" (١٣.٤٪)، أو أسباب مثل عدم وجود حاجة لاستخدام اللغة العربية في دولة إسرائيل (٩.٧٪) "لأن هذه ليست لغتي وفي إسرائيل يجب التحدث بالعبرية وليس بالعربية" أو "لا يساعد ذلك على تقدمي، فما حاجتي به؟". كما كان هناك مستطلعين علقوا عدم شعورهم بالراحة لاستخدام اللغة العربية بنفورهم من اللغة أو "لأنها لغة متعبة" أو "أنها لغة لا تلائم قداسة دولة إسرائيل". سبب آخر للامتناع عن استخدام اللغة العربية، ولو أن قلائل هم الذين ذكروه، ينبع من الخجل من البيئة، وهو العائق الذي عبر عنه غالباً أبناء الجيل الأول والثاني من الشرقيين.

### تلخيص: حول شذوذ اللغة العربية في إسرائيل

أراد مواطن يهودي إسرائيلي يقيم في مدينة رعانا التسجيل في أيلول ٢٠١٥ لدورة في المركز التكنولوجي بيت بيرل، ولكنه تفاجأ عندما اكتشف أن التعليم سيتم باللغة العربية. والسبب أن كافة المسجلين هم عرب باستثناءه. وكان ردّه: "لا أعتقد أن هذا شيء طبيعي. أتوقع أن يفتحوا في بيت بيرل دورة للجميع باللغة العبرية، وأن يشرّحوا

عند الحاجة أمور معينة بالعربية لمن يصعب عليهم الفهم. دائماً يقولون إننا نخرجها من المجتمع والآن يتضح أن العكس صحيح. الآن سيكون عليّ أن أسافر إلى مكان أبعد لأتعلّم". المسؤول عنه في العمل الذي أرسله للدراسة عبّر هو الآخر عن امتعاضه من قرار تدريس الدورة بالعربية. على حدّ قوله: "هذا تمييز ضدّي كيهودي في دولة إسرائيل أن يطلبوا مني معرفة اللغة العربية. هذا ليس منطقيّاً".

هذه الاقتباسات تعكس برأينا عدة نقاط تميز اللغة العربية في إسرائيل. فهي تعكس مكانة اللغة العربية المتدنية في البلاد، كونها رسمية فقط على الورق، مستوى معرفتها المتدني أو المعدوم في المجتمع اليهودي، عدم القدرة حتى على تصوّر اللغة العربية كلغة حية وديناميكية بالإمكان التعلّم بها ومن خلالها، وبالأساس الوعي السائد حيالها وسط اليهود في إسرائيل. نحن نسمّي ذلك "وعياً" وليس "موقفاً" لأنه مفروغ منه تقريباً ويتواجد في عمق الهابيتوس الإسرائيلي. وهذا ما يدل عليه رد الرجل والمسؤول عنه على مجرد إمكانية التعلّم باللغة العربية باستخدام الجمل التي تعبر عن الصدمة "هذا ليس طبيعياً" و"ليس منطقيّاً". لا بد من الإشارة إلى أن هذا الوعي يتواجد جنباً إلى جنب مع الموقف السائد وسط إسرائيليين كثر ممن يصرّحون (على الرغم وربما بسبب عدم الإلمام باللغة العربية في المجتمع اليهودي) أن اللغة العربية لغة هامة وأنه يجب جعلها لغة تعليم إلزامية في المدارس، من ضمن أمور أخرى، بسبب أهميتها "للأمن والسلام".

يجب أن يقاس الموقف الإسرائيلي السائد، والمتعالي، والغريب والمفروغ منه تجاه اللغة العربية من خلال الفجوة القائمة بين التصريحات النظرية وبين ما يجري على أرض الواقع: ويجب أن يقاس ليس فقط برفض اللغة إنما كذلك يكون اللغة العربية لم تعد تستخدم كلغة بين اليهود في إسرائيل: بينما أصبحت العبرية هي الخيار التلقائي المفهوم ضمناً في كافة مجالات الحياة بالبلاد، أيضاً في اللقاء بين اليهود والعرب حتى عندما تكون الأقلية في المجموعة يهودية بشكل واضح (شخص واحد في دورة كاملة). هذه الظاهرة تحدث بسبب هيمنة العبرية في البلاد، ولكن كذلك وبالأساس بسبب الهيمنة الاجتماعية والسياسية لمتحدثيها كلغة أم. هذا ما يحصل في الجامعة، وتقريباً في كل لقاء بين عرب ويهود في البلاد، حتى في المشاريع التي تحاول تعزيز "التعايش" بين مدارس ثانوية يهودية وعربية.

كما أظهر الاستطلاع، فإن نسبة اليهود الذي يجيدون اللغة العربية منخفضة جداً، وهو الأمر الذي يفسّر تناول إمكانية وجود اللغة العربية في الحيز العام بمصطلحات "غير طبيعي" و"غير منطقي". بالإضافة إلى ذلك، فقد أوضح تحليل الاستطلاع أن متعلّمي ومتحدثي اللغة العربية بين اليهود في إسرائيل يتبعون لمجموعتين واضحتين تتواجد بينهما علاقة فصل.

تتشكّل المجموعة الأولى من خبراء، وعربيّتهم غالباً ما تكون سطحية وموجهة نحو الاستخبارات والأمن، إما بسبب علاقة مباشرة بها (معلمون ومحاضرون يهود خريجو الاستخبارات العسكرية والذين يدرسون طلاب يهود يتعلمون اللغة لكي ينضموا إلى الاستخبارات العسكرية)، وإما بسبب تشكّل المنظومة من حول الاحتياجات الأمنية. التركيز في هذه المجموعة ليس على الجوانب الثقافية، والإنسانية والجمالية للغة والثقافة، مثل قراءة رواية باللغة العربية، كتابة رسالة أو إدارة محادثة باللغة العربية. يعتمد فقه "العربية الإسرائيلية اليهودية"، وفق المصادر التي ذكرناها هنا، على لتتنو اللغة العربية في البلاد في المجتمع اليهودي، أي، التعامل معها كلغة لا حاجة للتحدّث بها أو استخدامها كلغة تدريس (مع العلم أن دروس اللغة العربية تجري في البلاد باللغة العبرية) إنما الاستماع لها، تحليلها وقراءتها فقط. أدت هذه "العربية الإسرائيلية اليهودية" إلى نشوء كادر من الخبراء الذين يعرفون قراءة أو فهم اللغة العربية المرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر مع احتياجات الأمن القومي لإسرائيل. يدور الحديث هنا عن يهود إسرائيليين، غالبيتهم النسبية من الإشكناز، تعلموا اللغة العربية في المدرسة أو في الجيش (أو في كلاهما بمعظم الحالات)، أو يتعلمون اللغة العربية ولكنهم لا يتقنون التحدّث بها. عوضاً عن ذلك، فهم يتعاملون معها كلغة خاملة. غالبيتهم، لم يسمعو اللغة العربية في البيت وتعلموا التعامل معها كلغة أجنبية، وهم يبرّرون دراستها بدوافع أدائية فقط، ولا مرة تقريباً بدافع "الاندماج في المنطقة".

تشمل المجموعة الثانية اليهود الشرقيين أو ذوي الأصول العربية، وقد تبين أن لدى الكثيرين منهم علاقة مختلفة باللغة العربية مع فروقات واضحة بين أبناء الأجيال المختلفة. يفهم عدد أكبر منهم نسبياً اللغة العربية ويستطيعون التحدّث بها بمستوى أساسي ولكنهم لا يجيدون قراءتها وكتابتها. جاء اليهود العرب من كافة أقطاب العالم العربي وتحدّثوا عربية الشرق الأوسط، أو شمال أفريقيا أو اليمن. ولد بعضهم في الدول العربية، ولكن هؤلاء على وشك أن يختفوا. عمل بعضهم الآخر، القادمون من العراق بالأساس، وخاصة في سنوات الخمسينات والستينات، كخبراء للغة العربية في إسرائيل لخدمة الدولة خاصة في القطاع الأمني. فقد عملوا في وحدات المخابرات، والحكم العسكري، ووزارة الزراعة أو البريد، كما وظفوا كمعلمين للعربية. سمع أبناء الجيل الثاني والثالث الأهالي أو الأجداد الذين تحدّثوا اللغة العربية. سمع نسبة كبيرة منهم العربية المحكية في البيت وهم قادرين على التحدّث أو الفهم بشكل سطحي، ولكنهم لا يتقنون قراءة وكتابة اللغة العربية. علاقة هؤلاء باللغة العربية، كما أظهر

الاستطلاع، مليئة بالتناقضات. فهم، من جهة، سمعوا اللغة العربية في البيت، وكان من الممكن أن يربطوها بلغة الأم، أو أن يعتبروها لغة ميراث أو ثقافة. ولكنهم هم بالذات عبّروا عن مواقف شديدة أكثر تعتبر العربية لغة عدو. بيد أن هذا التعامل ليس مفاجئاً. فالموقف السلبي من اللغة العربية هو مؤشر على قبول الشخص في المجتمع، والمواقف المتطرفة التي يعبر عنها الشريقيون تجاه العرب إن دلت على شيء فهي تدل على ما يعتبر عادياً. في المقابل، ندعي أن الإشكناز بالذات يستطيعون تشكيل علاقة متصالحة أكثر مع اللغة العربية. ذلك لأن الإشكنازي الذي يتقن اللغة العربية جيداً يحمل ثروة رمزية وليس مشتبه بالعروبة. في حين أن روح الجماعة الإسرائيلية وعلاقة الدولة المؤسساتية مع اللغة والثقافة والعالم العربي قد جعلوا أبناء اليهود العرب يتكبرون لها لكي يتم قبولهم في الدولة ولكي يتقدموا في المجتمع. على هذه الخلفية، يبرز موقف الشرقيين السلبي تجاه اللغة العربية في الحيز العام مقابل موقفهم الإيجابي في الحيز الخاص، كالاستماع إلى الموسيقى.

عند الاطلاع على نتائج الاستطلاع، يجب الأخذ بعين الاعتبار محدودية طرق البحث. فعلى الرغم من أن الاستطلاع يركز على اللغة العربية وأن هذه هي خصوصيته، لكنه يفحص الوضع من وجهة نظر عرضية دون تعمق. لم يتم إجراء مقابلات مع أناس ولم يتم التركيز على مجموعات معينة بالإمكان استخراج أفكار كثيرة منها. من الجدير الإشارة إلى أن إحدى النتائج المثيرة التي أظهرها بحث أجراه نسيم مزراحي مؤخرًا، تؤكد أن هناك ميل لدى الشرقيين التقليديين لإظهار موقف إيجابي تجاه اللغة العربية عندما تكون هويتهم اليهودية محمية تمامًا وليست موضع شك. هكذا مثلًا ضمن دورة بموضوع تاريخ الإسلام شارك بها متدينون من "شاس" في كلية كريات أونو، عبّر الطلاب فيها بفخر عن معرفتهم اللغة العربية. لغة الرمام. وعندما طرح على المشتركين السؤال إن كان اليهودي ممكن أن يعتبر برأيهم عربيًا، أجاب جزء غير صغير منهم بالإيجاب وحتى بحماس. صحيح أن هذا لا يعكس نتائج الاستطلاع ولكن نتائج كهذه تتوضّح بصورة أفضل إذا تم التركيز على مجموعات صغيرة أكثر.

يشمل الاستطلاع كذلك أجوبة تدل على تقدير فائض أو ناقص عن حدّه، مثل الفرق الكبير بين من ادعوا أنهم "يعرفون اللغة العربية" وبين من ذكروا أنهم لا يعرفون الأحرف، لا يمكنهم التحدث بالعربية وأنهم لم يقرؤوا يومًا كتابًا أو مقالًا بالجريدة بهذه اللغة. وكذلك الفجوة بين الأقلية النسبية ممن صرّحوا أنهم "تعلموا اللغة العربية في الجيش" وبين الأبحاث التي أثبتت أن غالبية الطلاب الذين اختاروا دراسة اللغة العربية في المدرسة قاموا بذلك لخدموا فيما بعد في الاستخبارات العسكرية.

بكل الأحوال، تدل النتائج على ظاهرة بارزة ومقلقة مفادها أن اللغة العربية، اللغة الرسمية في دولة إسرائيل، لغة الثقافة والميراث للكثير من اليهود الشرقيين، اللغة التي كتب بها كبار الفلاسفة والمنقّون اليهود لم تعد اليوم لغة يتحدث بها اليهود في إسرائيل، وهي لا تقرأ ولا تسمع، لغة محتضرة لا تتواجد خارج تبريرات تدريسها كـ "لغة عدو".

إذا افترضنا أن يهودي-إسرائيلي واحد من بين مئة قرأ مره بحياته كتابًا باللغة العربية (وهذا تقدير فائض عن حدّه يشمل أيضًا يهود من الجيل الأول)، فإن ذلك يعني أن الجمهور في إسرائيل "رضخ" للاعتبارات الاستراتيجية والأمنية التي أبعدت إسرائيل عن المنطقة، اجتماعيًا وثقافيًا وسياسيًا. لا تمد هذه البيانات على التفاؤل، وهذا أقل ما يقال عنها. من يعتقد أن على اليهود الاندماج في الشرق الأوسط، أيضًا من خلال الدراسة المدنية والشاملة للغة، يجب أن يبدي رأيه حول هذه البيانات المقلقة.

منظومة العلاقات القائمة بين اللغتين العربية والعبرية واضحة جدًا: ٩٢.٥٪ من العرب مواطنو إسرائيل يتقنون العبرية (لغة رسمية في إسرائيل)، وبقدرة أقل من ٧٪ من اليهود تمييز الأحرف العربية (وهي كذلك لغة رسمية في إسرائيل). من الصعب أن نرى كيف ستخطو إسرائيل بهذا المسار والنهج نحو مستقبل من الحياة المشتركة، والمصالحة، والتفاهم، والسلام، والاحترام المتبادل أو الاندماج الاجتماعي والسياسي. من المحتمل أكثر أن نفترض أن الطريقة والسياق والحجم والخطاب والمكانة التي تتواجد، تدرس وتصاغ فيها اللغة العربية اليوم بين اليهود في إسرائيل، ستستمر فقط في إبعاد المجتمع اليهودي عن الثقافة العربية، والحيز العربي، والشرق الأوسط والمجتمع الفلسطيني في إسرائيل.

## التوصيات المركزية

بناءً على بيانات الاستطلاع، والنتائج حول معرفة اللغة، والمهارات والسياقات التي تدرس بها، نوصي بتعزيز مكانة اللغة العربية في الحيز العام، في الجهاز المدرسي، بحيث يتم إرساء ذلك في القانون. فيما يلي بعض المبادرات التي بإمكانها أن تساهم في تحقيق هذا الهدف:

- دعم النضال من أجل تكريس مكانة اللغة العربية في المدارس كلغة إلزامية. خلافاً للاقتراحات الخطيرة التي ترمي إلى إلغاء تدريس اللغة العربية، أو إلغاء مكانة اللغة العربية كلغة رسمية في إسرائيل، نحن نؤكد على أهمية تعزيز مكانتها. يجب أن تكون دراسة اللغة العربية إلزامية في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، وأن يشترط القبول للجامعة بامتحان بجرور باللغة العربية (كما هو الحال مع اللغة الإنجليزية).
- تعزيز المكانة العامة للعربية في كافة مناحي الحياة. إلى جانب وضع التشريعات الملائمة، يجب إجراء إصلاح في مكانة اللغة العربية في الحيز العام لا سيما مكانتها المتدنية والهامشية والتعبئة على لافتات الشوارع وإشارات الطرق. يجب الاستثمار في جهاز لتدريس اللغة العربية للبالغين أيضاً. وعامة، يجب تعزيز اللغة العربية كلغة رسمية وحية بحق- بدءاً من الإعلانات الصوتية في المطار وصولاً إلى إنشاء دورات اللغة العربية المفتوحة، والرسمية، والمنطقية والطبيعية لليهود والعرب.
- تعزيز الجانب المدني في دراسة اللغة العربية في المدارس. تبعاً للأبحاث التي أجريت بالموضوع، مثل بحث محمد أمارة، يجب تعزيز اللغة العربية كلغة مدنية تجمع بين اليهود والعرب سوية. إذا استمر الربط مع المخابرات العسكرية بكونه المنطلق الحصري، وإذا استمر متخذو القرارات بكونهم يهود-إسرائيليين خريجي جهاز الاستخبارات العسكرية، حينها لن تكون هناك إمكانية لتعزيز اللغة العربية كلغة تكون معرفتها أمراً منطقيًا، وعاديًا، ومطلوبًا، وجزءًا حيويًا من الحياة الأدبية والثقافية واليومية لأبناء هذه البلاد.
- من أجل تحقيق الهدف السابق يجب إجراء إصلاح واسع في دراسة اللغة العربية في البلاد يشمل إعطاء أسبقية للباحثات والباحثين الذين يتحدثون اللغة العربية ويعرفونها ليس فقط من سياقاتها الرسمية الإسرائيلية وإنما يعرفونها كلغة موسيقى، وثقافة، ومجتمع، وفكر، وبحث وأدب. في إطار التعليم، يجب التركيز أيضاً على الجوانب الفعالة في دراسة اللغة العربية، وعلى وجه الخصوص قدرة الطلاب على التحدث بالعربية والتعبير الكتابي بشكل خلاق.
- بخصوص الطلاب الذين سمعوا اللغة العربية من جيل الأجداد والجدة، يجب محاولة إنقاذ مهاراتهم اللغوية من خلال تعزيز اللغة العربية كلغة ميراث وثقافة لهذه المنطقة بما يشمل سكانها اليهود. يجب محاولة إيجاد طرق لتعزيز اللغة العربية بكل الطرق عدا عن "لغة العدو" و"لغة الأمن". كل زلة كهذه ستؤدي باللغة العربية وبمتحدثيها إلى التقييدات العادية للغة الخاملة التي تنتظر إلى العالم العربي من الخارج، تخاف منه وتخلق "خبراء" يفصلون بين السكان، ولا يأخذون بعين الاعتبار قدرة اللغة على تشكيل محفز اندماجي من ناحية الطلاب.